الغيبة

أسباب عذاب القبر

obeikandl.com

obeikandl.com

الغيبـة

الحمد لله رب العالمين: الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة؛ لعلكم تشكرون.

سبحانه: يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: نهانا عن الغيبة، فقال ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ﷺ بين لنا موقف الذين يغتابون الناس، فروى أحمد أن الرسول ﷺ قال:«مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ جبريل عليه السلام : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ. فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: إخوة الإسلام

إننا اليوم على موعد مع سبب من أسباب عذاب القبر، ألا وهو: **الغيبة**، فأعيروني القلوب والأسماع والأبصار، والله ﷻ أسأل أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

أحبتي في الله:

بداية وقبل أن تناول موضوعنا اليوم يجب علينا أن نقف على بعض الحقائق هي الأساس في موضوعنا اليوم.

الحقيقة الأولى: إن اللسان من أعظم النعم التي أنعم الله ﷻ بها على الإنسان، وهو نعمة تستحق أن نشكر الله ﷻ عليها، وهو دليل على قدرة الله ﷻ، ولقد أشار المولى ﷻ إلى هذه الحقيقة، فقال ﷻ :{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السماوات وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الروم: ٢٢] وقال ﷻ :{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ} [البلد: ٨، ٩].

فالله ﷻ خلق اللسان ليذكره به الإنسان، ويستخدمه في طاعته ﷻ، ويتبادل به الرأي مع بني جنسه، ويعبرَ به الإنسانُ عما يدور في فؤاده.

فاللسان هو المترجم لما حواه الجنان، يُزْرَعُ بقوله الحسناتُ والسيئاتُ، وهو أطيب عضو مع القلب إذا طابا، وأخبث عضو مع القلب إذا فسدا.

جاء في البداية والنهاية لابن كثير: " أنه قيل للقمان الحكيم: اذبح شاة، وأحضر أطيب ما فيها " فذبحها، وأحضر القلب واللسان، ومرت أيام وقيل له: اذبح شاة، وأحضر أخبث ما فيها، فذبحها، وأحضر القلب واللسان.

فقيل له: طلبنا منك أطيب عضوين فأحضرت القلب واللسان، وطلبنا منك أخبث عضوين، فجئت بالقلب واللسان، فقال: هما أطيب ما في البدن إذا طابا، وأخبث ما فيه إذا خبثا.

ولذلك قال فاروق الأمة ﷺ : (المرء بأصغريه: قلبه ولسانه) لم يقل بماله، ولا بسلطانه، ولا بحسبه ونسبه، وإنما بقلبه وبلسانه.

فالواجب على كل إنسان أن يستخدم لسانه فيما أحل الله ﷻ، وأن ينزه لسانه عما حرم الله ﷻ، ولا يعرض نفسه لغضب المنتقم الجبار؛ لما رواه البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت**».

الحقيقة الثانية: إن استقامة الأعضاء متوقفةٌ على استقامة اللسان، وإن اعوجاج الأعضاء متوقفٌ على اعوجاج اللسان، ولذلك نجد أعضاء جسد الإنسان تنصح اللسان كل يوم، وتأمره بالالتزام.

ولقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الحقيقة، فروى الترمذي وابن خزيمة وصحح الحديث الشيخ الألباني أن الرسول ﷺ قال:«**إذا أصبح ابنُ آدم: فإن الأعضاء تذكرُ اللسان، وتقول له: اتق الله فينا فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**».

وروى أحمد أن الرسول ﷺ قال:«**لا يستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخل الجنة رجلٌ لا يأمن جارُه بوائقه**».

ولقد بين لنا الرسول ﷺ أن النجاة في المحافظة على اللسان، فروى الترمذي أن عقبة بن عامر ﷺ قال للرسول ﷺ : ما النجاة؟ فقال الرسول ﷺ :«**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**».

بل إن الرسول ﷺ بين لنا أن إسلام الفرد لا يكمل ولا يصح إلا إذا حافظ الإنسان على لسانه، وسلم المسلمون من لسانه، فروى البخاري أن الرسول ﷺ قال:«**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

وكل ذلك لخطر الكلمة التي تخرج من اللسان، فبكلمة واحدة يدخل الفرد دين الله ﷻ، وبكلمة واحدة يخرج الفرد من دين الله ﷻ، وبكلمة واحدة ينال الفرد رضا الله ﷻ، وبكلمة واحدة ينال الفرد سخط الله ﷻ، وبكلمة واحدة تحل امرأة، وبكلمة واحدة تحرم المرأة، وبكلمة

واحدة يسعد حزين، أو يحزن سعيد، وبكلمة واحدة ترمى امرأة شريفة عفيفة، بكلمة واحدة يمزق الشمل، ويتفرق الأحبة، فكل كلمة تخرج من الإنسان هو مؤاخذ بها، قال ﷻ :{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨].

وروى الترمذي أن معاذ بن جبل ﷺ قال للرسول ﷺ : يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فقال الرسول ﷺ :«ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكبُ النَاسَ في النار على وجوههم، إلا حصائدُ ألسنتهم» وفي رواية:«على مناخرهم».

وروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار سبعين خريفاً».

الحقيقة الثالثة: ما هي الغيبة؟ الغيبة هي: أن تذكر الغير بصفة يكرهها، وتنسبَ إليه ما يُحقره في أعين الناس، وتصفَه بقبيح ولو كان فيه.

روى مسلم وغيرُه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ ﷺ :«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ ﷺ :«إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ» ومعنى بهته: أي افتريت عليه الكذب.

الحقيقة الرابعة: إن الغيبة تتنوع إلى خمسة أنواع هي ما يأتي:

أولاً: غيبة في البدن: وذلك أن يقول الإنسان: فلان أعمش، أو أعور، أو أحول، أو أقرع، أو قصير، ونحو ذلك من الأمور التي تسيء إلى صاحبها.

فروى أبو داود أن السيدة صفية ﷺ دخلت على الرسول ﷺ تريد حاجة لها، فلما خرجت، قالت عائشة ﷺ للرسول ﷺ : حَسْبُكَ مِنْ

صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ ﷺ :«لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ».

ثانياً: غيبة في النسب: كأن تذكر نسب الغير على جهة التنقيص من شأنه، كأن تقول: فلان خسيس، أو فاسق، أو أبوه زبال، أو تقول: فلان فلاح، تقصد أنه ليس إنساناً حضارياً، بل متخلف.

ثالثاً: غيبة في الخُلقِ: كأن تقول: فلان سيئ الخلق، أو فلان بخيل، أو متكبر، أو فلان سريع الغضب، أو تقول: هو إنسان جبان، أو لا شخصية له.

رابعاً: غيبة في شؤون الشخص الدينية: كأن يقول في مجلس إخوانه: لقد أحزنني ما حدث لصديقنا فلان، فنسأل الله ﷻ أن يهديه، وهذا النوع من أخبث أنواع الغيبة، لأنه كاذب في نفسه.

خامساً: غيبة تتعلق بأمر دنيوي: كأن تقول على شخص: فلان كثير النوم، أو فلان يأكل كثيراً، أو ثيابه قذرة، أو نحو ذلك.

وقد تحصل الغيبة بالقلب، وذلك سوء الظن بالمسلمين، والظن هو التهمة بغير سبب، ومن غير دليل، وقد نهانا الله ﷻ عن سوء الظن بغير دليل، أو بمجرد أوهام تقع في هواجس النفس، فقال ﷻ :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢].

وقد حذرنا الرسول منه أيضاً، فروى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال:«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا».

أخوة الإسلام:

لقد حذرنا الشرع الحنيف من الغيبة، وأخذ موقفاً عدائياً من الغيبة وأهلها، وشدد في النهي عن هذا الخلق الذميم، الذي يعرض

صاحبه لغضب المنتقم الجبار، فتعالوا معي لنتعرف على موقف الشرع الحنيف من الغيبة.

أولا: تشبيه المغتاب بالكلب:

قال ﷻ :{وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].

فلقد شبه الله ﷻ المغتاب في هذه الآية بالكلب، والكلب هو الحيوان الوحيد الذي يأكل لحم أخيه بعد موته، فالأسد لا يفعلها، وكذلك الذئب، حتى الثعلب يشمئز منها ولا يفعلها، لا يفعلها إلا الكلب.

فيا له من تشبيه عجيب، يجعل النفس تنفر، ويجعلها تشمئز، فمن الذي يمكن أن يفعل ذلك، إنه المغتاب، ذلكم الشخص الذي يخوض في أعراض الناس.

ثانيا: الغيبة لها ريحة منتنة:

روى أحمد عن جابر ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ».

وقيل لبعضَ الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ، ولا تبين في يومنا هذا؟ قال: لأن الغيبة قد كثرت في زماننا، فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين الرائحة، وهي النتن، ويكون مثال ذلك: مثل رجل دخل دار الدباغين، لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة؛ لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا.

ثالثا: الغيبة أشد نتانة من جيفة الحمار:

روى البيهقي عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ لما أمر برجم

ماعز، سَمِعَ رَجُلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا، ثُمَّ مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ، فَقَالَ:«أَيْنَ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، قُومَا فَانْزِلاَ، فَكُلاَ مِنْ جِيفَةِ هَذَا الْحِمَارِ» قَالاَ: غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يُؤْكَلُ مِثْلُ هَذَا؟ قَالَ ﷺ :«فَمَا نِلْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا آنِفًا شَرٌّ مِنْ هَذَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الآنَ لَفِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَنْغَمِّسُ فِيهَا».

رابعا: الغيبة أشد من الزنا:

روى ابن أبي الدنيا وابن حبان أن الرسول ﷺ قال:«**إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، فإن الرجل يزني ويتوب، فيتوب الله ﷻ عليه، وإن صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفرَ له صاحبُه**».

خامسا: الغيبة أربا الربا:

روى الطبراني وأبو داود أن الرسول ﷺ قال:«**الربا اثنتان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم**».

وتأمل معي أخي المسلم هذا الموقف الذي يدل على خطورة الغيبة، وأنها داء ذميم يجب على المسلم أن يقلع عنه، فروى أبو داود أن السيدة صفية ﵂ دخلت على الرسول ﷺ تريد حاجة لها، فلما خرجت، قالت عائشة ﵂ للرسول ﷺ : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ ﷺ :«لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ».

أي أن هذه الكلمة من شدة خطورتها لو تجسدت وطرحت في ماء البحر، لتغير لونه، وهذا كناية عن شدة خطرها وفسادها.

فهذه كلمة واحدة من السيدة عائشة ﵂ تفعل هذا الفعل وتؤثر هذا التأثير، فما أدراكم بما يفعله المغتابون اليوم، وألسنتهم لا تكل ولا تمل من الغيبة، فأي بحار تمزج كلماتهم لو مزجت بها؟ وأي مياه تنتن؟ وأي طيب عيش يفسدون؟!

وعلى الرغم من هذا كله: إلا أنه قد اشتغل كثير من الناس بالغيبة، فلا يتسامرون في مجالسهم، ولا يتفكهون إلا بذم أشخاص بأعينهم، يهتكون أستارهم، ويكشفون عوراتهم، ويتهجمون في غيبتهم على أعراضهم، ويبحثون عن العيوب فيُنشرونها، ويُفتشون عن المساوئ فيُظهرونها، كأن الله ﷻ خلق لهم اللسان ليأخذوه تسلية ومنجلاً يحصدون به سيرة الناس، ويجعلونه مقرضاً يقطع لحوم البشر، ويمزق أعراضهم.

فلقد انتشرت الغيبة في كل مكان، انتشرت في الأسواق بين الشباب والشيوخ، انتشرت في المقاهي وجميع مجالسنا، ولا أبالغ إذا قلت لكم: أن الغيبة منتشرة في بيوت الله ﷻ، ومواضع الصلاة، تسمع بعض الناس وقد أطلقوا اللسان في تمزيق أعراض المؤمنين بالغيبة والبهتان، ونقل الكلام من فلان إلى فلان، بقصد الافتنان والتسلية في أعراض الناس.

ويجب أن يعلم الجميع: أن الذي ينشغل بالغيبة ما هو إلا خبيث النفس، أو جبان، ثقيل طبعه على الناس، خفيف عمله في الميزان يوم القيامة، فقال ﷻ :{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً} [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

أخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على الأمور الباعثة على الغيبة.

إن الأمور الباعثة على الغيبة كثيرة منها ما يأتي:

أولاً: موافقة الأقران: أو مجاملة الرفقاء، ومساعدتهم، فإنهم يتفكهون في الأعراض، رأى هذا أنه إذا أنكر عليهم، أو قطع

كلامهم، استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدهم، ويرى أن ذلك من حسن المعاشرة، لكنه لو تدبر قول الله ﷻ :{الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٦٧] لانتهى عن موافقة الأقران في الغيبة.

ثانياً: التشفي والغيظ: فيعدد المغتاب المساوئ التي في خصمه؛ لحقده الشديد عليه، فكلما هاج حقده وغضبه، تشفى بغيبة صاحبه.

ثالثاً: الحسد: وذلك عندما يجد الناس يثنون على شخص لحبهم له، فيدب الحسد في قلبه ويتحرك، فيتمنى زوال ذلك، فيقدح فيه، ولو علم الجاهل أن حب الناس وثناءهم لشخص إنما هو من عند الله ﷻ، لانتهى عن الغيبة.

رابعاً: اللعب والهزل: فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة، مثل محاولة إظهار خفة الدم، وإظهار المرح بتقليد الأشخاص، وإظهار هفواتهم، كما يحدث في عامة مجالسنا، حتى إن بعض الناس يكون كسبه من هذا.

خامساً: إرادة رفع نفسه بمدحها، وتنقيص غيره بذمها: كمن ذكر عنده رجل فذكر في المجلس شرفه، وعلمه، فيقول: إلا أن فهمه ركيك، وفيه كذا وكذا، ويوسوس له الشيطان أن هذا من باب النصيحة، ولو كان صادقاً في النصيحة لنصحه سراً.

وهذا خلل في إيمان الفرد، وشرخ كبير في إسلامه، والرسول ﷺ قد حذرنا من هذا، فروى مسلم أن الرسول ﷺ قال:«**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ«**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

وصدق الشاعر إذ يقول:

إن شئت أن تحيا سليماً من الأذى ::: وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امـرئ ::: فكلك عـورات وللناس ألسـن
وعينـك إن أبدت لك مسـاوئاً ::: فصنها وقل يا عين للنـاس أعـين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ::: وفارق ولكن بالتي هـي أحسـن

واحذر أخي المسلم أن تكون شريكاً للمغتابين، وذلك يكون بالجلوس معهم وقت الغيبة، والإصغاء لهم على جهة التعجب، فيزداد حينئذ نشاطهم في الغيبة، وأنت لا تدري أن التصديق والإصغاء للغيبة غيبة، بل إن الساكت على الغيبة شريك هو الآخر للمغتاب، ولن يتخلص من هذه الشركة فيها إلا بإنكاره بلسانه وبقلبه، فينهى صاحب الغيبة عنها، بأن يخوض في حديث آخر، فإن عجز فعليه أن يفارق المجلس، ولا ينفعه أن يقول بلسانه: اسكت وقلبه مشته لاستمراره.

وهذا مستنبط من قول الله ﷻ :{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨].

أخوة الإسلام:

إذا كان الشرع الحنيف قد حرم الغيبة، إلا أنه قد أباحها في عدة حالات، فتعالوا معي لنتعرف على الحالات التي يجوز فها الغيبة.

أولاً: الظلم: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو القاضي، وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: فلان ظلمني، أو أكل حقي، أو أخذ مالي، أو أرضي، قال ﷻ :{لاَ يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً} [النساء: ١٤٨].

ثانياً: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب: فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه، كمن يرى أن موظفاً يأخذ رشوة فأبلغ مديره لكي يردعه عن هذا العمل،

فيجوز بشرط أن يكون هدفه الحقيقي التوصل إلى إزالة المنكر، لا فضيحته، ولا أن يشهر به، وإلا كانت غيبة محرمة.

روى البخاري في الأدب عن أبى هريرة ﷺ : قال رجل يا رسول الله إن لي جاراً يؤذيني، فقال ﷺ :«**انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق**» فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جارٌ يؤذيني، فذكرت للنبي ﷺ فقال:«**انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق**» فجعلوا يقولون: اللهم العنه، اللهم اخزه، فبلغه، فأتاه فقال: ارجع إلى منزلك، فوالله لا أؤذيك.

ثالثاً: الاستفتاء: فيقول للمفتي: ظلمني فلان بكذا وكذا، أو يسأله: كيف أتوصل إلى حقي من فلان؟ والأفضل أن لا يذكر اسماً، وإن ذكر ذلك جاز، فروى البخاري ومسلم: أَنَّ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، فَقَالَ ﷺ :«**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**».

رابعاً: نصيحة المسلم عند التشاور: وذلك عندما يأتيك إنسان ليأخذ رأيك في شاب يريد أن يخطب ابنته، فتنصحه، لما رواه البيهقي عَنْ فَاطِمَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَهَا فِي عِدَّتِهَا مِنْ طَلاَقِ زَوْجِهَا:«**فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي**» قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ أَخْبَرْتُهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَبَا جَهْمٍ ﷺ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، انْكِحِي أُسَامَةَ**» قَالَتْ: فَكَرِهْتُهُ، فَقَالَ ﷺ :«**انْكِحِي أُسَامَةَ**». فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ الله ﷺ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ.

خامساً: أن يكون المغتاب مجاهراً بالفسق والفجور: كشارب الخمر، ومصادرة أموال الناس، لما رواه البخاري عن عائشة ﷺ أن رجلاً استأذن على الرسول ﷺ، فقال:«**ائذنوا له، بئس أخو العشيرة**».

فلما دخل الرجل، ألان له الرسول ﷺ القول، فقالت عائشة ﷺ يا

رسول الله، قلتَّ له الذي قلت، فلما دخل ألنتَّ له القول؟ فقال ﷺ :«يا عائشة: إن شر الناس منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء شره» فقد دل الحديث على جواز غيبة أهل الفسق المجاهرين به.

سادساً: التعريف: وذلك إذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش، أو الأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم، جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

إخوة الإسلام:

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله ﷻ للمغتابين، فهناك عقوبات دنيوية، وعقوبات في القبر، وعقوبات أخروية.

أما العقوبات الدنيوية فهي ما يلي:

أولاً: الفضيحة في الدنيا: روى الطبراني وابن حبان أن الرسول ﷺ قال:«يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تُؤْذُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ».

ثانياً: عدم قبول الأعمال: روي أن الرسول ﷺ قال:«إن الحفظة تصعد بعمل العبد، وله نور كشعاع الشمس، حتى إذا بلغ السماء الدنيا، والحفظة تستكثر عمله وتزكّيه، فإذا انتهى إلى الباب، قال الملك الموكل بالباب: اضربوا هذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة، أمرني ربي أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني إلى ربي».

ثالثاً: إحباط العمل: روى أحمد والحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا،غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ ﷺ :«هِيَ فِي النَّارِ».

أما العقوبة التي في القبر فهي ما يأتي:

أولاً: الابتلاء بالعذاب في القبر: روى أبو يعلى في مسنده أن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير، فأتى على قبرين يعذ ب صاحباهما، فقال ﷺ :«أما إنهما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان يغتاب الناس، وأما الآخر: فكان لا يتأذى من بوله».

ثانياً: قطع لحم الوجه والصدر: روى أحمد أن الرسول ﷺ قال:«مرَرْتُ بقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ جبريل عليه السلام : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ.

أما العقوبات التي في الآخرة في ما يأتي:

أولاً: الهلاك في الآخرة: ويكون ذلك بدخول النار من وادٍ خاص بهم، قال ﷻ :{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ} [الهمزة: ١ - ٩].

فالويل وادي في جهنم لمن ذكر عيوب الناس في غيبتهم، وهو الهمز، واللمزة هو الذي يلمز الناس ويعيبهم في وجوههم.

ثانياً: الحبس على جسر من جسور جهنم: روى البيهقي أن الرسول ﷺ قال:«من رمى مسلماً بشيء يريد شينه، حبس يوم القيامة على جسر من جسور جهنم، حتى يخرج مما قال».

ثالثاً: أكل الجيف في النار: روى أحمد أن الرسول ﷺ نَظَرَ فِي النَّارِ، فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيَفَ، فَقَالَ ﷺ :«مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ جبريل عليه السلام : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ الناس.

وأخيراً ما كفارة الغيبة؟

الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله، ثم

يستحل المغتاب ليحله، فيخرج من مظلمته، وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله.

فإن تعذر اللقاء بين الاثنين؛ لبعد المسافة المكانية، وشق الوصول إليه، أو لسبب موت أصاب المظلوم، أو ستؤدي المصارحة إلى ضرر أشد؛ نظراً لسوء خلق المظلوم، أو ضيق أفقه، فيكفي للمغتاب الندم والتوبة، والثناء والدعاء لمن اغتابه؛ رفعاً للحرج، والمشقة تجلب التيسير، والله أعلم.

فإن انتفت هذه المعاذير فالواجب على المغتاب الاستحلال؛ لما رواه البخاري وأحمد واللفظ له أن الرسول ﷺ قال:«مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ حِينَ لَا يَكُونُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ».

* * *